الصِّفَةُ المُشَبَّهَةُ وتَداخُلُ أبنِيَتِها بأَبْنِيَةٍ أُخْرَى

التَّقْدِيْم

يَتَبَدَّى لي أَنَّ الصِّفَةَ المُشَبَّهَةَ بِناءً صَرْفِيّاً يَفْرِضُ البَحْثُ فيها سُلْطانَهُ على كُلِّ باحِثٍ، أَوْ راغِبٍ لما يَتَخَلَّلُها مِمَّا يُعَدُّ مِنْ بابِ المُشْكِلاتِ الّتيْ تَحْتاجُ إِلى تَبْيِيْنٍ ، وتَوْضِيْحٍ ، وتَيْسيْرٍ ، وتَقْرِيْبٍ، ولَعَلَّ أَهَمَّ هذِهِ المُشْكِلاتِ :

(1) تَداخُلُ أَبْنِيَتِها بأَبْنِيَةٍ صَرْفِيَّةٍ أُخْرَى ، وهُوَ تَداخُلٌ يُفْضِيْ إِلى تَحْقِيْقِ اللَّبْسِ بَيْنَ أَبْنِيَتِها، وتِلْكَ الأَبْنِيَةِ الأُخْرَى .

(2) شُيُوْعُ الخِلافاتِ فيها صَرْفِيّاً ، ودَلالِيّاً ، وتَرْكِيْبِيّاً .

(3) كَثْرَةُ الأَوْجُهِ ، والخِلافاتِ في بَعْضِ أَبْنِيَتِها ، وعَمَلِها في مَعْمُوْلٍ سَبَبِيٍّ ، وغَيْرِ سَبَبِيٍّ ، والفَصْلِ بَيْنَها ، وبَيْنِ مَعْمُوْلِها ، وزَمَنِ حُدُوْثِها، واشْتِقاقِها مِنْ فِعْلٍ مُتَصَرِّفٍ تامٍّ ، أَوْ مِنْ جامِدٍ فِعْلاً ، أَوْ اسْماً مُؤَوَّلاً بالمُشْتَقِّ .

(4) شُيُوْعُ ما يُمْكِنُ أَنْ يُوْسَمَ بالتَّوَهُّمِ في بَعْضِ مسائِلِها ، وهُوَ تَوَهُّمٌ لا يَحْتَمِلُهُ طَبِيْعَةُ اللُّغَةِ ، والمُتَعَلِّمُوْنَ ، والباحِثُوْنَ ، أَلا يَتَبَدَّى هذا التَّوَهُّمِ مِنْ تَعامُلِ بَعْضِهِمْ مَعَها رياضِيّاً ،إِذْ ذَهَبَ إِلى أَنَّ لَها أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفاً ، ومِئَتَيْنِ وسِتّاً وخَمْسِيْنَ صُوْرَةً بَعْضُها جائِزٌ ، وبَعْضٌ آخَرُ غَيْرُ جائِزٍ (14256 صُوْرَة) ؟!

(5) أَنَّ الأَبْنِيَةَ الَّتي تَتَداخَلُ أَبْنِيَتُها بِها ، وما لَهُ وَشِيْجٌ بِها تُسَيْطِرُ على بَعْضِها مُشْكِلاتٌ كالَّتي تُطالِعُ القارِئَ في أَثْناءِ الحَدِيْثِ عَنِ الصِّفَةِ المُشَبَّهَةِ ، ومِنْ هّذِهِ الأَبْنِيَةِ : اسْمُ التَّفْضِيْلِ ، وبِناءُ التَّعَجُّبِ (ما اَفْعَلَ) ، وغَيْرُهُما مِنَ الأَبْنِيَةِ الأُخْرَى الوارِدَةُ في هذا البَحْثِ .

ورَأَيْتَ أَنْ يَكُوْنَ تَعامُلِيْ مَعَ مَوْضُوْعِ هذا البَحْثِ على وَفْقِ ما يَأْتِيْ :

(1) أَنَّنيْ آثَرْتُ أَنْ أَتَحَدَّثَ عَنِ بَعْضِ مسائِلِهِ أَحْياناً بإِيْجازٍ في الغالِبِ مُتَناسِياً ما لَيْسَ لَهُ وَشِيْجٌ بالصِّفَةِ المُشَبَّهَةِ كبِناءِ (أَفْعِلْ بِـ) في أُسْلُوْبِ التَّعَجُّبِ القِياسِيِّ .

(2) الدَّعْوَةُ إِلى تَوْظِيْفِ عِلْمِ التَّداوُلِيَّةِ (عِلْمُ اسْتِعْمالِ اللُّغَةِ) ، وغَيْرِهِ مِنَ العُلُوْمِ الحَدِيْثَةِ في أَثْناءِ دِراسَةِ أَيِّ مَوْضَوْعٍ ولا سِيَّما قَصْدُ المُتَكَلِّمِ مُتَواصِلاً مَعَ المُخاطَبِ ، أَوِ المُخاطَبِيْنَ .

(3) أَنَّنيْ أَسْهَبْتُ إِلى حَدِّ الإِسْرافِ في الحَدِيْثِ عَنْ بَعْضِ المَوْضُوْعاتِ اتِّكاءً على ما جاءَ في كِتابِ (التَّذييل ، والتَّكْميْل في شرح كتاب التَّسْهِيْلِ) ؛ لأَنَّهُ يُعَدُّ أَكْثَرَ اسْتِقْصاءً لكُلِّ ما يَدُوْرُ فَلَكِ المَوْضُوْعاتِ الوارِدَةِ في هذا البَحْث مِنَ الكُتُبِ الأُخْرَى .

(4) أَنَّني أَسْهَبْتُ في ذِكْرِ الشَّواهِدِ الفَصِيْحَةِ ، وغَيْرِها مِنَ الأَمْثِلَةِ المَصْنُوْعَةِ .

(5) أَنَّنِيْ آثَرْتُ عَرْضِ الخِلافاتِ في المَسْأَلَةِ ؛ لأَنْتَهِيَ إِلى ما يُمْكِنُ أَنْ يُوْسَمَ بالتَّيْسِيْرِ ، والتَّقْرِيْبِ إِلى الطَّلَبَةِ ، والمُرِيْدِيْنَ .

ولا شَكَّ في أَنّني اتَّكَأْتُ في هذا البَحْثِ على ما في كُتُبِ الصَّرْفِ ، والنَّحْوِ ، وإِعْرابِ القُرْآنِ الكَرِيمِ كَثِيْراً ، وهُوَ اتِّكاءٌ قاصِرٌ ؛ لأَنّ ما في المَعاجِمِ اللُّغَوِيَّةِ يُوْمِئُ إِلى أَنَّ هُنالِكَ شَواهِدَ ، وأَمْثِلَةً يُوْسَمُ الباحِثُ بها بالقُصُوْرِ ، وعَدَمِ الاسْتِقْصاءِ ، وهِيَ مَسْأَلَةٌ لا بُدَّ مِنْها في الصَّرْفِ ؛ لأَنَّ القُدامَى لَمْ يُزَوِّدُوْنَا إِلاَّ بأَمْثِلَةٍ قَلِيْلَةٍ لا تَكْفيْ في البَحْثِ العِلْمِيْ، ويَكْفِيْ دَلِيْلاً بَيِّناً على هذِهِ المَسْأَلَةِ ما في كِتابِيْ (مُعجَم جُمُوْعِ التَّكْسِيْرِ في العَرَبِيَّةِ) مِنْ اسْتِقْصاءٍ لأَبْنِيَتِها ، وهِيَ مَسْأَلَةٌ تَفْرِضُ عَلَيْنا أَنْ نَرْجِعَ النَّظَرَ فيْ أُصُوْلِ هذا الجَمْعِ الَّتي تَوَصَّلَ إِلَيْها القُدامَى ، وما في (تاجِ العَرُوْسِ) مِنْ أَبْنِيَةٍ صَرْفِيَّةٍ تَدُوْرُ في فَلَكِ الفِعلِ (عَطِشَ) : " العَطَشُ، مُحَرَّكَةً: خِلافُ الرِّيِّ، مَعْرُوفٌ: عَطِشَ الرَّجُلُ، كفَرِحَ، يَعْطُشُ عَطْشاً فهُوَ عَطِشٌ، وعَاطِشٌ، وعَطُشٌ، كنَدُسٍ. وَقَالَ اللِّحْيَانِيّ: هُوَ عَطْشَانٌ الآنَ، يُرِيدُ الحَالَ، وَهُوَ عَاطِشٌ غَداً، وَمَا هُوَ بِعَاطِشٍ بعدَ هَذَا اليَوْمِ، وهُم عَطْشَى، وعَطَاشَى، وعُطَاشٌ، بالضَّمِّ، وعِطَاشٌ، وهذِه بالكَسْرِ، وعَطِشُونَ وعَطُشُون، وَهِي عَطِشَةٌ، وعَطُشَةٌ،

وعَطْشَى، وعَطْشَانَةٌ، الأَخِيرَةُ عَنِ اللَّيْثِ، وهُنَّ عَطِشَاتٌ، وعَطُشَاتٌ، وعِطَاشٌ، بالكَسْرِ، وعَطْشَانَاتٌ. وَقَالَ ابنُ السِّكِّيتِ، فِي كِتَابِ التَّصْغِيرِ من تَأْلِيفِه: ويُصَغِّرُونَ العَطِشَ عُطَيْشان، يَذْهَبُونَ بِهِ إِلى عَطْشَان ، ويُصَغِّرُونَه أَيْضاً على لَفْظِه، فيَقُولُون: عُطَيْشٌ، والأَوّلُ أَجْوَدُ، قَالَ الجَوْهَرِيُّ: قَالَ محمَّدُ بنُ السَّرِيِّ السَّرَّاج: أَصْل عَطْشَان : عَطْشَاءُ، مثْلُ صَحْراءَ، والنُّونُ بَدَلٌ من أَلف التّأْنِيث، يَدُلُّ عَلَى ذلِكَ أَنّه يُجْمَعُ عَلَى عَطاشَى، مثْلُ صحَارَى. والعَطْشَانُ: المُشْتَاقُ، وَهُوَ مَجَازٌ، وقَدْ عَطِشَ إِلى لِقَائه، كَمَا يَقُولُونَ: ظَمِئَ، قَالَهُ ابْن دُرَيْدٍ، وَقَالَ ابنُ الأَعْرَابِيّ: إِنّي إِلَيْكَ لَعطْشَانُ، وإِنِّي إِلَيْك لأُجادُ، وإِنِّي لَجَائِع إِلَيْكَ، وإِنِّي لمُلْتاحٌ إِلَيْك، مَعْنَاه كُلِّه: مُشْتاقٌ، وأَنْشَد:

وإِنّي لأُمْضِي الهَمَّ عَنْهَا تَجَمُّلاً وإِنِّي إِلى أَسْمَاءَ عَطْشَانُ جائعُ

وكذَلك إِنِّي لأَصْوَرُ إِلَيْكَ. والعَطْشَانُ: سَيْفُ عَبْدِ المُطَّلبُ ابْن هاشِم بن عَبْد مَنَافٍ، نَقَله ابنُ الكَلْبيّ قالَ: وَفِيه يَقُول:

مَنْ خانَهُ سَيْفُهُ فِي يَومِ مَلْحَمَةٍ فإِنَّ عَطْشَانَ لَمْ يَنْكُلْ ولَمْ يَخُن

وَفِي سَجَعَات الأَسَاس: إِنّك إِلَى الدَّمِ عَطْشَانُ، كأَنَّك عَطْشَانُ، بمَعْنَى السَّيْفِ. والعُطَاشُ كغُرَابٍ: داءٌ يُصيب الصَّبيَّ فَلا يَرْوَي، وقِيلَ: يُصيبُ الإِنْسانَ يَشْربُ وَلَا يَرْوَى صاحِهُ، ومِنْهُ الحَديث إِنّه رَخَّصَ لِصَاحِب العُطَاش واللَّهَثِ أَنْ يُفْطِرا ويُطْعِمَا وقِيلَ: العُطَاشُ: شِدَّةُ العَطَشِ، ومِنْهُ : " من أَصابَه العُطَاشُ أَفْطَر ". ورَجُلٌ مِعْطَاشٌ: ذُو إِبلٍ عِطَاشٍ، والأُنْثَى كَذلكَ. والمَعَاطِشُ: مَوَاقيتُ الأَظْمَاءِ، وَفِي الصّحاح: مَوَاقيتُ الظِّمْءِ، ويقَال: تَطَاوَلَتْ عَلَيْنَا المَعَاطِشُ، الوَاحِدُ مَعْطَشٌ، كمَقْعَدٍ، وَقد يَكُونُ المَعْطَشَ مَصْدَراً لِعَطِشَ يَعْطَشُ "[1].

وبَعْدُ فإِنَّنِيْ أَدْعُوْ بلا تَرَدُّدٍ إِلى إِهْمالِ الخِلافاتِ النَّحْوِيَّةِ ، والاقْتِصارِ على وَجْهٍ واحِدٍ تُعَزِّزُهُ الشَّواهِدُ الفَصِيحَةُ ، والاسْتِعْمالُ اللُّغَوِيُّ ، وتَناسِيْ التَّوَهُّماتِ الَّتي

([1]) الزبيدي ، تاج العروس ، عطش : 267/17 - .

لا تَحْتَمِلُها طَبِيْعَةُ اللُّغَةِ ، وإِعْرابِ عَناصِرِ التَّرْكِيْبِ اللُّغَوِيِّ الَّـذي يَفْسُـدُ بِـهِ المَعْنَـى ولا سِيَّما في إِعْرابِ بِناءَيْ أُسْلُوْبِ التَّعَجُّبِ (ما أَفْعَلَ ، وأَفْعِبْ بـ) .